﴿۞وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٥٢ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ٥٦﴾

[الشعراء: 52 - 56]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

يستخفُّ الطُّغاة الدَّهماء، ويزدَرون المؤمنين، والأمور لله يصرِّفها كيف يشاء

لمّا أقام الكليمُ على آل فرعون الحجَّةَ، وأَسقط هيبةَ فرعون وهدم له بُرْجَه، ولبث فيهم عُمُرًا ليُصلح ما فسد ويقيم معوجَّه، بيّن سبحانه أنَّ فرعون ومَلَأه كانوا مصرّين على الكفر والعناد؛ مكثرين من الفساد والاستبداد، ولم يبقَ لهم إلّا اللَّعن والإبعاد؛ فأمر كليمَه بالخروج من تلك البلاد؛ فأسرع الطاغية العنيد، إلى التَّعبئة والتحشيد؛ طالبًا الدَّعم والتَّأييد؛ متناولًا قوم موسى بالتَّرهيب والتَّهديد، واصفًا إيّاهم بالشَّراذم الرَّعاديد؛ ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧﴾ [هود: 97][1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَسۡرِ﴾: أصل (سري) يدلُّ على نفاذ الشَّيء الدَّقيق الممتدِّ في أثناء محوطة بقوَّة، ومن ذلك السُّرى[2]، والسُّرَى: سَيْرُ عامَّة اللَّيل، ومنه قول الله تعالى: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾ [هود: 81]، وقال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ [الإسراء: 1][3]، يقال: سَرَيْتُ سُرَىً

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 505، والبقاعي، نظم الدرر: 14/ 37، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 244، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 80.

(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (سري).

(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (سري).

ومَسْرًى وأَسريتُ، بمعنًى واحد؛ إذا سِرْتَ ليلًا[1]، ومعنى قوله تعالى: ﴿۞وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾؛ أي: سِرْ بهم ليلًا[2].

2) ﴿ٱلْمَدَآئِنِ﴾: جمعُ المدينة، وهي: كلُّ أرض يُبنى في وسطها حِصْنٌ[3]، وكذلك البلدة التي كَثُر سكانها[4]، ومَدَن بالمكان، أقام به، ومنه سُمّيت المدينة على وزن فعيلة، وجمعها: مدائن.

ومعناها المحوري: "المِصر الجامع المحصن، وتعريف المدينة بالحصن يُذَكِّرنا باتخاذ القدماء قِلاعًا ونحوها مبالغةً في الامتناع والتحصُّن من الأعداء، وفيه الفرق بينها وبين القرية التي هي تَجَمُّعٌ لبيوت لم يُلحَظ فيه التحصُّن"[5]، والمدينة: اسم لمدينة رسول الله ﷺ خاصَّة، والنِّسبة إليها: مدَني[6].

3) ﴿حَٰشِرِينَ﴾: أصل (حشر) يدلُّ على السَّوْقِ والبعث والانبعاث[7]، وحَشَرْتُ النَّاس أحشُرُهُم حَشْرًا، إذا جَمَعْتَهم[8]، والحشر: إخراج الجماعة عن مَقَرِّهم وإزعاجهم عنه إلى حرب ونحوها[9].

ولا يقال الحشر إلا في الجماعة، قال الله تعالى: ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشعراء: 36][10]، وسُمّي يومُ القيامة يومَ الحشر، كما سُمّي يومَ البعث والنَّشر[11].

والمَحْشَر: المَجْمَع الذي يُحشَر إليه القوم، وكذلك إذا حُشِروا إلى بلد أو معسكر ونحوه[12]، ومعنى قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾؛ أي: جامعين للنّاس بعُنْفٍ[13].

---

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (سري).

(2) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 2/ 563.

(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (مدن).

(4) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (مدن).

(5) جبل، المعجم الاشتقاقي: (مدن).

(6) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (مدن).

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حشر).

(8) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (حشر).

(9) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (حشر).

(10) الراغب، المفردات: (حشر).

(11) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (حشر).

(12) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (حشر).

(13) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 2/ 564، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 76.

4) ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾: أصل (شَرْذَم) يدلُّ على كون الشَّيء قطعةً منفرِدةً أو متسبِّبة من شيء بال[1]، والشِّرذمة: جماعة قليلة منقطعة من النّاس، والقطعة من الشَّيء، والجمع: شَراذم، وهو من قولهم: ثيابٌ شَراذِمُ؛ أي: أَخْلاقٌ متقطِّعة[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾[3].

5) ﴿لَغَآئِظُونَ﴾: أصل (غيظ) يدلُّ على كَرْبٍ يلحق الإنسان من غيره[4]، والغيظ: غضبٌ كامنٌ للعاجز، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه، يقال: غِظتُ فلانًا أغيظه غيظًا فهو مَغيظ، وقد غاظه فاغتاظ وغيَّظه فتغيَّظ[5].

وقد دعا اللّٰه الناس إلى إمساك النَّفس عند اعْتِراءِ الغيظِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: 134][6]، والتَّغيُّظ: الاغتياظ وهو إظهار الغيظ، وقد يكون ذلك مع صوت مسموع، كما قال تعالى: ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: 12][7]، وغايَظَه فاغتاظ وتغيَّظ بمعنًى[8].

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾، أي: أنّهم يفعلون أفعالًا تُغيظنا وتُضيق صدورَنا[9].

6) ﴿حَٰذِرُونَ﴾: أصل (حذر) يدلُّ على التَّحرُّز والتَّيقُّظ، والحَذَرُ والحِذْر: احتراز من مُخيف، حَذِر يَحْذَر حَذَرًا، وحذَّرْتُه، فهو حاذِرٌ وحَذِرٌ؛ أي: مُتَيقِّظ مُتَحَرِّز، والجمع حَذِرون وحَذارى[10]، وحَذارِ يا فلان: احْذَرْ[11]، والتَّحذير: التَّخويف[12].

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾؛ أي: مستعدّون ومتأهِّبون[13].

---

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (شرذم).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (شرذم).
(3) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (شرذم).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غيظ).
(5) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (غيظ).
(6) الراغب، المفردات: (غيظ).
(7) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسمين، عمدة الحفاظ: (غيظ).
(8) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح: (غيظ).
(9) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 2/ 564.
(10) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات: (حذر).
(11) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات: (حذر).
(12) ابن منظور، لسان العرب: (حذر).
(13) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (حذر).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

في هذا البيان القرآنيِّ ختامٌ لقصة نبيِّ الله موسى ﷺ، وبيانٌ لما أمره الله به من الخروج من أرض مصر، وما كان من موقف فرعون وقومه إزاءَ هذا الخروج؛ وذلك حيث يقول ربُّنا سبحانه: وأوحينا إلى موسى بعد انتصاره العظيم على فرعون وسَحَرَتِه أنْ يسير بعباد الله المؤمنين من بني إسرائيل ليلًا إلى جهة البحر؛ وذلك لاتِّباع فرعون وجنده لهم؛ حتى لا يدركوهم قبل وصولهم إلى البحر، ولإرساله لجمع جيشه من مدائن مملكته، بعد علمه بخبرهم، ولقوله كذلك بعد اكتمال عدد النّاس مهوِّنًا مِنْ شأنهم: إنَّ بني إسرائيل الذين فرّوا مع موسى لطائفة قليلة العَدد مُستَضْعَفَةٌ حقيرةٌ، وإنَّهم لفاعلون ما يُغضِبُنا بمخالفتهم دينَنا، وخرجِهم بغير إذْنِنا، وإنّا لجميعٌ مستعدّون لِمَكْرِهم متيقِّظون لكيدهم، ممسكون بزمام أمرهم خشية خداعهم[1].

الهجرة من بلاد الكفر والعصيان خير سبيل للحفاظ على سلامة الإيمان

وترشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى مشروعية التعبئة العامَّة، واستعمالِ أسلوب خاص في الحرب يهدِّئُ من مخاوف الأمَّة حكومةً وشعباً، وإلى أصلٍ عظيم من أصول السياسة، وهو سدُّ ذرائع الفساد، ولو كان احتمالُ إفضائها إلى الفساد ضعيفاً[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو ودلالتها في قوله: ﴿*وَأَوْحَيْنَآ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿*وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ هي العاطفة، جيء بها لعطف هذه القصَّة على سابقتها، ولا تُفيد قُرْبَها منها، فقد لبث نبيُّ الله موسى ﷺ زمنًا يطالِب فرعونَ بإطلاق بني إسرائيل ليخرجوا مِن مصر، وفرعونُ يماطل في ذلك حتى رأى الآياتِ التِّسعَ كما هو مذكور في سورة الأعراف[3].

الواو بين العطف والاستئناف دائرة، لبيان آيات الله الباهرة

(1) البغوي، معالم التنزيل: 6/ 113 - 114، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 10/ 248 - 250.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 129، والجزائري، أيسر التفاسير: 3/ 752.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 37، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 129.

وقيل: الواو استئنافيَّة، وهي استئناف لبقيَّة القصَّة، والجملة مستأنَفة للشُّروع في الأمر الموجَّه إلى موسى ﷺ بأن يسير بقومه إلى جهة البحر ليلًا، وذلك بعد أمدٍ من الحوادث الآنفة الذِّكر[1].

وهذه سُنَّة الله تعالى في التَّوطئة لإنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين بعد رضاه سبحانه عن منهاج فئة الإيمان، وبلاغ حجَّة الرَّحمن، حجَّة الوحي البالغة[2].

دلالة التَّعبير بالماضي في ﴿*وَأَوۡحَيۡنَآ﴾:

عُبِّر بالماضي في قوله تعالى: ﴿*وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾؛ جريًا على الظّاهر في حكاية ما وقع من الأحداث بأفعال ماضية لمناسبة زمن وقوع هذه الأحداث، وهو مع ذلك يفيد التَّحقيق والتَّوكيد.

موافقة الظّاهر في حكاية ما مضى بلفظ فعلٍ تمَّ وانقضى

نكتة إسناد فعل الإيحاء إلى ضمير العَظَمَة:

أُسند فعل الإيحاء إلى ضمير العظَمة في قوله تعالى: ﴿*وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾؛ لإفادة تعظيم هذا الوحي: موحٍ، وموحًى إليه، وموحًى به، فقوله تعالى: ﴿*وَأَوۡحَيۡنَآ﴾؛ "أي بما لنا من العظمة حين أردنا فصل الأمر وإنجاز الموعود"[3].

الإسناد إلى العظيم يفيد الإجلال والتَّعظيم

فإنجاء الله تعالى لبني إسرائيل على ما فُصِّل في السّورة هو أمر عظيم جليل؛ لما فيه من إنجاء المؤمنين، وإهلاك الطُّغاة الجبّارين، وإحقاق الحقِّ الأبلَج، وإزهاق الباطل اللَّجلَج؛ فلذلك أسنده الله تعالى إلى نفسه العليَّة تعظيمًا له.

معنى ﴿إِلَىٰ﴾ ودلالتها في الآية:

الأصل في معنى ﴿إِلَىٰ﴾ أنَّه موضوع للدَّلالة على انتهاء الغاية[4]، والتَّعبير به هنا من قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾؛ للدَّلالة على انتهاء

انتهاء غاية الإيحاء، وبيان عِظَم شأن اتِّصال الأرض بالسَّماء

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5358، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 77.
(2) مأمون حموش، التفسير المأمون: 5/ 469.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 37.
(4) سيبويه، الكتاب: 4/ 230، والزمخشري، المفصل، ص: 380، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 463، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 16.

غاية الإيحاء، وبيان إيصاله إلى الموحَى إليه بلا نقص ولا اضطراب، ولبيان عظيم منزلة النُّبوَّة والرِّسالة وأنَّها اتِّصال الأرض بالسَّماء.

الموقع النَّحويُّ والبيانيُّ لقوله تعالى: ﴿أَنْ أَسْرِ﴾:

جملة مفسِّرة للوحي دالَّة على أنَّ إسراء موسى كان بوحيٍ مِن ذي العليَاء

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾ جملة فعليَّة لا محلَّ لها؛ مفسِّرة للإيحاء في قوله تعالى: ﴿*وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾؛ لأنَّ في الإيحاء معنى القول دون حروفه[1].

وقد أوثر التَّعبير هنا بـ﴿أَنْ﴾ المفسِّرة والجملة بعدها دون المصدر مثلًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء: 73] لِما أفادَتْه ﴿أَنْ﴾ من الدَّلالة على تضمُّن الوحي معنى الكلام؛ أي أنَّه لم يكن مجرَّد إلهام أُلهم به موسى ﷺ، بل وحيٌ بتكليم، أو بإرسال جبريل ﷺ.

ولِما في التَّعبير بالأمر من الدَّلالة على طلب حصول الشَّيء بعد زمن التَّكلُّم[2]، بخلاف المصدر الخالي من الدَّلالة على الزَّمن، وهذا يدلُّ على أنَّ إسراء نبيِّ الله موسى ﷺ بقومه كان استجابةً لأمر الله تعالى، تاليًا له.

توجيه القراءات القرآنيَّة المتواترة في قوله: ﴿أَنْ أَسْرِ﴾:

إمّا مِن الإسراء للسَّير في أوَّل اللَّيل، وإمّا مِن السُّرى للسَّير في آخره

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾ قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن كثير بوصل الألف وكسر النّون لالتقاء السّاكنيْن، هكذا: ﴿أَنِ ٱسْرِ﴾، وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وحمزة، وعاصم، ويعقوب، وخلف العاشر بقطع الألف وإسكان النون هكذا: ﴿أَنْ أَسْرِ﴾، والقراءتان لغتان، يقال سرى، ويقال: أسرى: لمن سار ليلًا، وقيل بالفرقِ بينهما، وهو أنَّ (أسرى) لأوَّل اللَّيل، (وسرى) لآخره، وأمّا (سار) فمختصٌّ بالنَّهار[3].

(1) الدرة، تفسير القرآن وإعرابه: 6/ 576، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 77.
(2) الحملاوي، شذا العرف، ص: 18.
(3) ابن خالويه، إعراب القراءات السبع وعللها، ص: 314، وابن الجزري، النشر: 2/290، والبنا، إتحاف فضلاء البشر، ص: 325.

وهذا يدلُّ على أنَّ الإسراء كان ليلًا؛ كي لا يمنعهم فرعون عليه لعنة الله مِن استكمال مرادهم، وكي لا يرى عسكر موسى عسكر فرعون فيهابوهم، وكذا ليجنِّبهم الله تعالى عذاب فرعون ونكاله.

الغرض من الأمر في قوله تعالى: ﴿أَسْرِ﴾:

الأمر في قوله تعالى: ﴿أَسْرِ بِعِبَادِيَ﴾ أمر وجوبيٌّ لصدوره من الأعلى سبحانه[1]، والغرض منه النُّصح والإرشاد؛ لحثِّ نبيِّ الله موسى عليه السلام على الإسراع بقومه.

الأمر وجوبيٌّ للنُّصح والإرشاد؛ لحثِّ الكليم على النَّجاة بالعباد

معنى الباء ودلالتها في قوله تعالى: ﴿بِعِبَادِيَ﴾:

الأصل في معنى (الباء) أنَّه موضوع للدَّلالة على الإلصاق، حقيقيًّا كان أم مجازيًّا[2]، وجيء به هنا في قوله تعالى: ﴿بِعِبَادِيَ﴾؛ لإفادة معنى المصاحبة، أي: أسرِ مصاحبًا لهم[3]، وفيه معنى الإلصاق، وهذا دليل على كمال العناية وشمول الرِّعاية، فلم يتقدَّمهم نبيُّ الله موسى عليه السلام ولم يتخلَّف عنهم، بل كان سيرُه ملاصقًا لسَيْرهم مصاحبًا لهم.

الإلصاق، وأفادت معنى المصاحبَة؛ تدليلًا على كمال عناية نبيِّهم بهم

نكتة إضافة العباد إلى ضمير المتكلِّم الأعظم:

في قوله تعالى: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيَ﴾ إضافة العباد إلى ضمير المتكلِّم الأعظم سبحانه وبحمده، والمقصود بهم بنو إسرائيل الذين كرَّمهم الله بالإيمان[4]، وسمّاهم عباده لأنَّهم آمنوا بموسى عليه السلام، وبما جاء به[5]، وأضافهم إلى نفسه تلطُّفًا بهم بعد أن ظلّوا تحت ظلم فرعون مدَّة طويلة[6]، والإضافة إلى العظيم فيها تشريف وتبجيل، وتفخيم، وتكريم، وذِكر العبوديَّة مقامٌ عظيم[7].

التشريف والتفخيم، والتبجيل والتكريم، وذِكر العبوديَّة مقامٌ عظيم

(1) النخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 43.
(2) سيبويه، الكتاب: 4/ 217، والزمخشري، المفصل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 474، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 19.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 37، ومحمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 76.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 37.
(5) الشوكاني، فتح القدير: 4/ 117.
(6) طنطاوي، التفسير الوسيط: 10/ 249.
(7) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 7/ 384، والدرة، تفسير القرآن وإعرابه: 6/ 576.

علَّة فصل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ عن سابقه:

تعليل للأمر بالإسراء؛ لأنَّه سبب في هلاك الأعداء

فُصِل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ عن سابقه كونه استئنافًا بيانيًّا ناشئًا عن سؤال مقدَّر بعد الأمر بالإسراء، فكأنَّه سُئِل عن العلَّة، فقيل: ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾؛ أي: لا تظنَّ أنَّهم لكثرة ما رأوا مِن الآيات يكفّون عن اتِّباعكم، فأسرِعْ بالخروج لتبعدوا عنهم، حتَّى إذا اتَّبعوكم مُصْبِحين، كان لكم تقدُّم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر، بل يكونون على إثركم حيث تَلِجون البحر، فيدخلون مداخلَكم ويسلكون مسالككم مِن طريق البحر، فأُطبقه عليهم وأغرقُهم فأهلكهم[1].

فهو تعليل للأمر بالإسراء باتِّباع فرعون وجنوده آثارَهم؛ لأنه سبب هلاك الأعداء[2].

دلالة التَّعبير بالجملة الاسميَّة:

الثُّبوت وتقريب الحصول، لتعجيل المسير وعدم النُّكول

في التَّعبير بالجملة الاسميَّة في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ إفادةٌ للدِّلالتيْن: دلالة الاسم ودلالة الفعل، أمّا دلالة الاسم فظاهرة، وأمّا دلالة الفعل فمستفادة من اسم المفعول ﴿مُّتَّبَعُونَ﴾؛ ذلك أنَّ الصِّفة إذا كانت جاريةً على الفعل - وهو اسم الفاعل واسم المفعول؛ كالضّارب والمضروب - أفادت الحدوث[3].

فمعنى: ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾؛ أي: يتَّبعكم فرعون وقومُه ليَرُدّوكُم، وفي ضمن هذا الكلام تعريفهم أنَّ الله ينجِّيهم منهم[4].

وإنَّما جاء التَّعبير بالجملة الاسميَّة لإفادة الدِّلالتين، لتدلَّ الصِّفة على معنى الحدوث، وكأنَّنا نرى الحدث أمام أعيننا آخذةً جلالتُه بمجامع القلوب، ولتدلَّ باسميَّتها على معنى الثُّبوت، وتقريب

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 314، والبقاعي، نظم الدرر: 14/ 37، والقِنَّوجي، فتح البيان: 9/ 380.
(2) الإيجي، جامع البيان: 3/ 180، وابن كمال باشا، تفسير القرآن: 7/ 384.
(3) ابن عادل، اللباب: 15/ 32.
(4) ابن الجوزي، زاد المسير: 3/ 339، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 100.

الحصول كأنَّه واقع حالًا، فلو قال: (إنَّكم ستُتَّبعون) لربَّما توُهِّم تَأَخُّرُ التّابعين عن المتبوعين.

أمّا التَّعبير بالاسم فإنَّه يفيد أنَّ الاتِّباع كائن، وكأنَّه حاصل بَدْءًا من زمن التَّكلُّم؛ لئلّا يتكاسل القوم أو ينكُلوا، "وأن يخرجوا مِن مصر في خِفْيةٍ وحَذَرٍ، فإنَّ عيون فرعون تَرْقُبهم، ولهذا جاء الأمر بأن يكون خروجهم ليلًا من غير أن يراهم أحد"[1]، والقصد من إعلام نبيِّ اللّه موسى ﷺ بذلك: تشجيعُه[2].

معنى الفاء ودلالتها في: ﴿فَأَرۡسَلَ﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ﴾ هي الفاء الفصيحة المنبئة عن محذوف مقدَّر؛ أي: ففعل موسى ﷺ ما أمره اللّه تعالى به، فخرجوا، فأُخبِر بذلك فرعونُ فأرسل في المدائن حاشرين جامعين للعساكر ليتَّبعوهم[3].

الفاء فصيحة للتَّقريب، أو عاطفة للتَّعقيب

وقيل: الفاء للتَّرتيب والتَّعقيب على جملة: ﴿*وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾، وأنَّ بين الجملتين محذوفًا[4]، والمعنى سارَعَ فوْرَ انفصالِهم وأَرْسَل جامعين للنّاس مِن كلِّ مدائن مصر، وذلك ليلاحقهم بالأذى والقتل[5].

دلالة التَّعبير بالماضي ﴿فَأَرۡسَلَ﴾:

عُبِّر بالماضي في قوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلَ﴾ جريًا على الظّاهر في حكاية ما وقع من الأحداث بأفعال ماضية لمناسبة زمن وقوعها، وهو مع ذلك يفيد التَّحقيق والتَّوكيد.

إفادة للتَّحقيق، وهو بالتَّوكيد حقيق

سِرُّ التَّعبير بالإرسال دون البعث في الآية:

أصل البعث: إثارةُ الشَّيء الحيِّ وتوجيهُه، ففي البعث إنهاضُ

(1) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 10/ 92.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 129.
(3) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 7/ 384، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 80.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 129.
(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5359.

بقوَّة[1]، أمّا الإرسال فأصله: الانبعاث على التُّؤدة، ففيه معنى الرِّفق والامتداد، ويتضمَّن الإرسال مرسِلًا، ومرسَلًا، ومرسَلًا إليه، ورسالة[2].

الإرسال بلاغ وامتداد، لمناسبة توجيه الحاشرين إلى البلاد

ولمّا كان المقصود من إرسال الحاشرين إلى المدائن هو أن يقولوا لهم: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ﴾ - زعموا - فقد ناسبه التَّعبير بالإرسال في قوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾؛ لأنَّ فرعون أرسلهم برسالة موجَّهة إلى أهل المدائن.

وفيه دليل على أنَّ الحاشرين أطاعوا أمره مسرعين، فكأنَّ أمره وافق هواهم فنشطوا لتنفيذه، أو كأنَّهم اعتادوا طاعته فلم يخالفوه قطُّ، فلم يكن بعثُه إيّاهم بقوَّة ولا بإنهاض، بل كانت القوَّة والإنهاض لأهل المدائن لا للحاشرين.

نكتة تعدية فعل الإرسال بالحرف ﴿فِي﴾:

الظرفية التامَّة للتَّنبيه على الاستعجال، وسرعة الامتثال

عُدِّي الفعل ﴿فَأَرۡسَلَ﴾ بـ﴿فِي﴾ دون (إلى) في قوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾؛ للتَّنبيه على الاستعجال منه، وسرعة الامتثال من الرُّسُل، ولبيان الظرفية التامَّة على أنَّ مُلْك مصر كان معمورًا في عهده، بحيث سار الرُّسل كما خرجوا من عنده في المدائن[3].

معنى (أل) في ﴿ٱلۡمَدَآئِنِ﴾:

الاستغراق العرفيّ، ويقصد بها مدائن القُطر المصريّ

التَّعريف في المدائن للاستغراق؛ أي: في مدائن القُطر المصريِّ، وهو استغراق عرفيٌّ؛ أي: المدائن التي لحكم فرعون، أو المظنون وقوعها قرب طريقهم[4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (بعث).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (رسل).
(3) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 7/ 385.
(4) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 7/ 384، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 80، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 130.

نكتة تقديم شبه الجملة ﴿فِي ٱلۡمَدَآئِنِ﴾ على المفعول به:

الاهتمام بالمقدَّم، والتَّشويق للمتأخِّر، ورعاية الفاصلة

قُدِّم شِبه الجملة ﴿فِي ٱلۡمَدَآئِنِ﴾ على المفعول به ﴿حَٰشِرِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾؛ للاهتمام بالمقدَّم، للإفادة بأنَّ إرسال فرعون قد عمَّ كلَّ مدائن مصر قبل معرفة ماهيَّة المرسَل، وفيه - مع ذلك - تشويق للمتأخِّر، ورعاية الفاصلة.

دلالة التَّعبير بـ﴿حَٰشِرِينَ﴾ مادَّة وصيغة:

الحشر جمع بسَوق وإزعاج، وفي اسم الفاعل معنى الحدوث والثبوت

يدلُّ الحشر على جمعٍ مع سَوْقٍ، وهو إخراجُ الجماعة عن مقرِّهم، وإزعاجُهم عنه إلى الحرب ونحوها[1]، فقوله تعالى: ﴿حَٰشِرِينَ﴾؛ أي: رجالًا يجمعون الجنود بقوَّة وسطوة وعُنف وإنْ كرهوا[2]؛ كي لا يتركوا بني إسرائيل يخرجون مِن ديارهم أو يهاجرون، أو للحثِّ على التَّطوُّع للتَّصدِّي لبني إسرائيل حين خروجهم[3].

وإيثار التَّعبير بصيغة اسم الفاعل للدَّلالة على الحدوث؛ لقربها من الفعل المضارع (يحشرون)؛ أي يجمعون النّاس جماعة بعد جماعة، وفوجًا بعد فوج، ويستفاد من اسميَّتها معنى الثُّبوت.

بلاغة الإيجاز بحذف متعلِّق المشتقِّ ﴿حَٰشِرِينَ﴾:

الحذف للعلم بالمحذوف، أو لتعميم المحشور

قوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾؛ أي: رجالًا يجمعون النّاس بقوَّة وسطوة وعُنف[4]، لكنَّ جَمعَ هذه المرَّة للجنود لا للسَّحَرة؛ لأنَّهم هُزموا في مباراة السَّحَرة، فأرادوا أن يستخدموا سلاحًا آخر هو سلاح الجبروت والتَّسلُّط والحرب العسكريَّة، فإن فشلت الأولى فلعلَّ الأخرى تفلح[5].

وحُذف المتعلِّق إيجازًا للعِلم به، وللتَّركيز على معنى الحشر لا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (حشر).
(2) النسفي، مدارك التنزيل: 2/ 564، والخطيب الشربيني، السراج المنير: 3/ 13.
(3) الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 8/ 108.
(4) النسفي، مدارك التنزيل: 2/ 564، والخطيب الشربيني، السراج المنير: 3/ 13.
(5) الشعراوي، الخواطر الإيمانية: 17/ 10576.

على المحشورين، فكأنَّه حشر لجميع النّاس تجييشًا لهم وتأليبًا على موسى ومَن معه، مع ما فيه مِن رعاية الفاصلة.

علَّة فصل قوله: ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ﴾:

فصل قوله: ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ﴾ عن سابقه لما بينهما مِن شبه كمال الاتِّصال؛ إذ هو استئنافٌ بيانيٌّ ناشئ عن سؤال مقدَّر بعد قوله: ﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾، فكأنَّه قيل: فماذا قالوا؟ فقيل: قالوا: ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ﴾، فهو معمولٌ لقولٍ مضمَر؛ لأنَّ ﴿حَٰشِرِينَ﴾ يتضمَّن معنى النِّداء، أي: يقولون ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ﴾.

علَّة الانفصال هي شبه كمال الاتِّصال

وهذا القول يجوز أن يكون حالًا، أي: أرسلهم قائلًا ذلك، ويجوز أن يكون مفسِّرًا لـ﴿فَأَرۡسَلَ﴾[1].

نكتة التَّعبير باسم الإشارة للقريب:

أُشير إلى بني إسرائيل بأداة القُرب في قوله: ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ﴾؛ تحقيرًا لهم، وللإيماء إلى أنَّهم في القبضة - وإن بَعُدوا - لما بهم مِن العجز، ولما بآل فرعون من القوَّة، فليسوا بحيث يُخاف قوَّتُهم ولا ممانعتُهم، وفي هذا استحثاث للنّاس والجند على اللُّحوق بهم[2]، وقد أكَّد معنى التَّحقيرِ التَّصريحُ بأنَّهم ﴿لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ﴾[3].

إفادة معنى تحقير شأنهم، وتقريب مكانهم؛ استحثاثًا للجُند على اللُّحوق بهم

دلالة توالي المؤكِّدات في الآية:

تضمَّنت الآية الكريمة جملة من المؤكِّدات، وهي:

الحرفُ المشبَّه بالفعل ﴿إِنَّ﴾ الذي ينوب منابَ تكرير الجملة مرَّتين، إلّا أنَّه أوْجَزُ وأخصَر مع حصول الغرض من التَّأكيد[4]،

نفي الشَّكِّ في قلَّة أعداد بني إسرائيل، ليلاحقهم الجنود من كلِّ سبيل

(1) الهمذاني، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: 5/ 53، وابن عادل، اللباب: 15/ 29، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 130.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 38.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 130.

(4) ابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 526.

واللامُ المزحلَقة الدّاخلة على خبر النّاسخ: ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾[1]، ووصفُ الشِّرذمة - وهي الطّائفة القليلة - بالقلَّة في صيغة جمع السَّلامة ﴿قَلِيلُونَ﴾، والجملةُ الاسميَّة الدّالَّة على الثُّبوت.

والغرض من توالي المؤكِّدات نزع الشَّكِّ أو الاضطراب من نفوس المحشورين حتى لا يتقاعسوا عن اللُّحوق ببني إسرائيل، فقلَّلهم فرعون في نفوسهم، وحقَّر من شأنهم، وقرَّب من مكانهم استعجالًا للمخاطَبين للُّحوق بهم.

نكتة وصف الشِّرذِمَة بالقلَّة:

(شرذمة) تقليل لهم باعتبار الكيفيَّة، و(قليلون) باعتبار الكميَّة

وصفَ فرعونُ قومَ موسى ﷺ بالذَّمِّ، فقال: ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ والشِّرذِمة الطّائفة القليلة، فذكرهم بالاسم الدّالِّ على القلَّة، ثمَّ جعلهم قليلًا بالوصف، ثمَّ جمع القليلَ فجَعَل كلَّ حزب منهم قليلًا، واختار جمع السَّلامة الذي هو للقلَّة[2].

أي أنَّه قلَّلهم من أربعة أوجهٍ:

عبَّر عنهم بـ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾، ووصفهم بالقلَّة، وجمع وصفهم ليعلم أنَّ كل حزبٍ منهم قليل، واختار جمع السَّلامة المفيد للقلَّة، وفيه وجهٌ خامسٌ: جمع الصِّفةِ والموصوفُ مفردٌ، وهو قد يكون مبالغةً لِلُصوقِ الصِّفة بالموصوف وتناهيهِ فيها[3]، أي: أنهم لِقِلَّتِهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعُلوُّهم[4].

وقيل: إنَّ قوله: ﴿قَلِيلُونَ﴾ خبرٌ ثانٍ، لا صِفَة[5]؛ إذ الشِّرذمة: الطّائفة القليلة من النّاس، فإتْباعه بوصف ﴿قَلِيلُونَ﴾ للتَّأكيد

(1) الدرة، تفسير القرآن وإعرابه: 6/ 578.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 350، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 505، وأبو حيان، البحر المحيط: 8/ 157.
(3) الطيبي، فتوح الغيب: 11/ 360، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 80.
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 315.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 38.

لدفع احتمال استعمالها في تحقير الشَّأن، أو بالنِّسبة إلى جنود فرعون، فهو خبر ثانٍ عن اسم الإشارة، فهو وصفٌ في المعنى لمدلول ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾، وليس وصفًا لـ﴿لَشِرۡذِمَةٞ﴾، ولكنَّه مؤكِّد لمعناها؛ ولهذا جيء به بصيغة جمع السَّلامة الذي هو ليس من جموع الكثرة[1].

وجهُ إيثار التَّعبير بصيغة جمع السَّلامة ﴿قَلِيلُونَ﴾:

الـدلالـةُ على القلَّة، وجيء به لتأكيد معناها بعد إفادة معنى الذِّلَّة

كان الظّاهر أن يقال: (شرذمة قليلة)، كما يقال: عصبة قليلة، ويجوز فيه الجمع، وإنَّما أوثر الجمع هنا باعتبار أنَّ الشِّرذمة مشتملة على الأسباط؛ أي: الفِرَق والقبائل من بني إسرائيل، وكلٌّ منهم قليل[2]، وأوثر التَّعبير بجمع السَّلامة الذي هو للقلَّة تأكيدًا لمعنى القِلَّة في ﴿لَشِرۡذِمَةٞ﴾[3].

ذلك أنَّه لمّا كانت قلَّة بني إسرائيل إنَّما هي بالنِّسبة إلى كثرة آل فرعون وقوَّتهم وما لهم عليهم مِن هيبة الاستعباد، وكان التَّعبير بالشِّرذمة موهِمًا لأنَّهم في غاية القلَّة، أزال هذا الوهم بالتَّعبير بالجمع دون المفرد ليفيد أنَّه خبر بعد خبر، لا صفة، وأنَّ التَّعبير بالشِّرذمة إنَّما هو للإشارة إلى تفرُّق القلوب، والجمعُ - ولا سيما ما للسَّلامة مع كونه أيضًا للقلَّة - أدلُّ على أنَّهم أَوْزاعٌ، وفيه أيضًا إشارة إلى أنَّهم مع ضَعْفِهم بقلَّة العدد آيسون من إسعافٍ بمَدَدٍ، وليس لهم أُهْبَةٌ لقتال لعدم العُدَّة[4].

معنى الواو ودلالتها في قوله: ﴿وَإِنَّهُمۡ﴾:

العطفُ لبيان ما ذمَّ به فرعونُ بني إسرائيل، فذكر الإغاظة بعد التَّقليل

الواو في قوله: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ عاطفة أو حاليَّة[5]، وقد أوثر الوصل هنا على الفصل؛ لاتِّحادِ الجملتين الكريمتين في الخبريَّة،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 130.
(2) الواحدي، البسيط: 17/ 51، والشهاب، عناية القاضي وكفاية الراضي: 7/ 13.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 314، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 130.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 38.
(5) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 78.

وعدم وجود ما يقتضي الفصل بينهما، وهو ما يسمِّيه البلاغيّون بالتَّوسُّط بين الكمالَيْن.

وقد حَسَّن الوصلَ هنا اتِّفاقُ الجملتين في الاسميَّة، إضافة إلى ما بينهما من التَّغاير مع وجود التَّلاؤم الفكري بينهما؛ إذ الجملتان مَسوقتان لبيان ما ذمَّ به فرعونُ بني إسرائيل، فكلتاهما تضمَّنت وصف ذمٍّ أراد به الخبيثُ احتقارَهم به، وتأليبَ النّاس عليهم، فوصفهم في الجملة الأولى بالقلَّة والذِّلَّة؛ أي أنَّهم لقلَّتهم لا يبالي بهم ولا يتوقَّع غلبَتَهم وعلوَّهم، ووصفهم في الثّانية بأنَّهم يفعلون أفعالًا تغيظه وتضيِّق صدره، فقال عاطفًا على الأولى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾[1].

معنى اللّام ودلالتها في قوله: ﴿لَنَا﴾:

الأصل في معنى (اللّام) أنَّه موضوع للدَّلالة على الاختصاص[2]، وهو المراد هنا، فقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا﴾؛ أي: لنا خاصَّة ﴿لَغَآئِظُونَ﴾[3]، وفيه دليل على الكِبر والاستعلاء؛ إذ لم يشكُّ أحدٌ من قوم فرعون من بني إسرائيل أو يتغيَّظ عليهم، بل كان ذلك مِن فرعون وحده.

الاختصاص أو التَّقوية، لمساعدة المشتقِّ على التَّعدية

وقيل اللّام لام التَّقوية[4]، وهي المزيدة لتقوية عاملٍ ضعُفَ إمّا بتأخُّره؛ نحو: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأعراف: 154]، أو بكونه فرعًا في العمل؛ نحو: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: 91][5].

نكتة تقديم شبه الجملة ﴿لَنَا﴾ على الخبر:

قُدِّم شبه الجملة ﴿لَنَا﴾ على الخبر ﴿لَغَآئِظُونَ﴾ في قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾؛ لأجل الحصر ورعاية الفاصلة[6]، وفي هذا الحصر

إفادةُ الحصر، للدَّلالة على تعاظم الكِبْر

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 506.
(2) سيبويه، الكتاب: 4/ 217، والزمخشري، المفصل، ص: 282، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 479، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 64.
(3) الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 8/ 109.
(4) الشهاب، عناية القاضي وكفاية الراضي: 7/ 13، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 131.
(5) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 286.
(6) الشهاب، عناية القاضي وكفاية الراضي: 7/ 13، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 81، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 131.

دليل على تعاظم الكِبر، وكأنَّه لم يتغيَّظ على بني إسرائيل إلا فرعون، وذلك لتداعي صرح ألوهيَّته الواهي، فأراد أن يتغيَّظ النّاس كما تغيَّظ هو، فاستخفَّ قومه فأطاعوه، فأغرقهم الله تعالى عقوبةً ونكالًا، وإهلاكًا واستئصالًا.

معنى اللّام، ودلالة اسم الفاعل في قوله: ﴿لَغَآئِظُونَ﴾:

اللّام في قوله: ﴿لَغَآئِظُونَ﴾ هي لام الابتداء المزحلقة للتَّوكيد[1]، ومعنى اسم الفاعل ﴿لَغَآئِظُونَ﴾ أنَّهم أصحاب غيظ وعداوة لنا؛ يعني: مُبغِضون لنا، أو المعنى: أنَّهم لَفاعلون بنا ما يغيظنا[2].

اللّام للتَّوكيد، واسم الفاعل لتهييج كلِّ قريب وبعيد

دلالة توالي المؤكِّدات في الآية:

في قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ جملةٌ من المؤكِّدات التي جيء بها لدفع الشَّكِّ ونفي الإنكار، وهي:

الحرفُ المشبَّه بالفعل (إنَّ) الذي ينوب منابَ تكرير الجملة مرَّتين، إلّا أنَّه أوْجَزُ وأخصَر مع حصول الغرض من التَّأكيد[3]، واللّامُ المزيدة للتَّقوية في قوله: ﴿لَنَا﴾، ولامُ التَّوكيد المزحلقة في قوله: ﴿لَغَآئِظُونَ﴾، والتَّعبيرُ بالجملة الاسميَّة التي تفيد الثُّبوت؛ أي: غائظون لنا دائمًا وباستمرار[4].

توالت المؤكِّدات نفيًا لشكِّ المتشكِّكين، ودفعًا لإنكار المنكِرين

والغرض من توالي هذه المؤكِّدات استثارةُ حميَّة النّاس وإلهابُ غضبهم على بني إسرائيل، ودفع شكِّ المتشكِّكين، وقتل إنكار المنكِرين.

معنى الواو ودلالتها في قوله: ﴿وَإِنَّا﴾:

الواو في قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ عاطفة أو حاليَّة[5]، وقد

العطفُ، وأوثر الوصل بين الجملتين لتوسُّطهما بين الكمالين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 131، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 78، ومحمود صافي، الجدول: 10/ 77.
(2) ثناء الله المظهري، التفسير المظهري: 7/ 68.
(3) ابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 526.
(4) الهلال، الثري الجامع: 8/ 109.
(5) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 78.

أوثر الوصل هنا على الفصل لما بين الجملتين الكريمتين من التَّوسُّط بين الكمالَيْن؛ ذلك أنَّهما متَّحدتان في الخبريَّة، وليس ثَمَّ ما يقتضي الفصلَ بينهما، وقد حَسَّن الوصلَ هنا اتِّفاقُ الجملتين في الاسميَّة، إضافة إلى ما بينهما من التَّغاير مع وجود التَّلاؤم الفكري بينهما؛ إذ الجملتان مسوقتان لبيان ما قاله فرعون أو الحاشرون لتأليب النّاس على بني إسرائيل.

فذكر في السّابقة ما يمنع الخوف مِن اتِّباعهم، وذكر ما يوجب الحثَّ عليه ويحذِّر من التَّقاعس عنه، فقال: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾، فدلَّ على أنَّ في اتِّباعهم شفاءَ الغُلَل، وعطف عليه ما ينفي عن المتقاعد العِلَل، فقال: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾[1].

معنى اللّام ودلالتها في قوله: ﴿لَجَمِيعٌ﴾:

التَّوكيدُ، لإفادة معنى الاتِّحاد والتَّهديد

اللّام في قوله: ﴿لَجَمِيعٌ﴾ هي لام الابتداء المزحلقة المفيدة للتَّوكيد[2]، أي: الحذر على الجميع منهم، وهم أعداء للجميع، والمصلحة مشتركة، فخرج فرعون وجنوده، في جيش عظيم، ونفير عام، لم يتخلَّف منهم سوى أهل الأعذار الذين منعهم العجز[3].

نكتة تنكير ﴿لَجَمِيعٌ﴾:

التَّكثير، ليقابل بـه التَّقليل والتَّحقير

(جميع) في قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ على جميع المعاني بمعنى الجمع، وليست التي يؤكَّد بها، ولو كانت هذه المؤكِّدة لنصبت[4]، والتَّنكير فيها للتَّكثير بقرينة مقابلته للتَّقليل في وصف بني إسرائيل ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾؛ لإبراز المفارقة بين الفريقين.

بلاغة الطِّباق بين ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾، و﴿لَجَمِيعٌ﴾:

يؤكِّد الطِّباق المعنى بتوضيح وجلاء، فبضدِّها تتميَّز الأشياء

بين قوله ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾، وقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ﴾ طباق

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 39.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 78، وبهجت صالح، الإعراب المفصل: 8/ 194.
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 592.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 82.

إيجاب بين لفظة ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾، ولفظة ﴿لَجَمِيعٌ﴾ يبرز المفارقة، ويوضِّح المعنى ويؤكِّده.

ذلك أنَّه لمّا كان مدار مادة (شَرْذم) على التَّقطُّع، فكان في التَّعبير بها إشارة إلى أنَّهم مع القِلَّة متفرِّقون ليسوا على قلبٍ واحد، وذكر أنَّ في اتِّباعهم شفاءَ الغُلَل - أتبعه ما ينفي عن المتقاعد العِلَل، فقال: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ﴾؛ أي: أنا وأنتم جماعة واحدة مجتمعون على قلب واحد، فأشار بهذا الخبر إلى ضدِّ ما عليه بنو إسرائيل مع قلَّتهم ممّا هو سبب للجرأة عليهم[1].

بلاغة الكناية في قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾:

في قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾ حثٌّ لأهل المدائن على أن يكونوا حَذِرين على أبلغ وجه؛ إذ جعل نفْسَه معهم في ذلك بقوله: ﴿لَجَمِيعٌ﴾ وذلك كناية عن وجوب الاقتداء به في سياسة المملكة، أي: إنّا كلَّنا حَذِرون[2].

كناية عن وجوب الاقتداء، وتأكيد الاقتفاء

توجيه القراءات القرآنيَّة المتواترة في قوله: ﴿حَذِرُونَ﴾:

اختلف القرَّاء في قراءة ﴿حَذِرُونَ﴾ في قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾، فقرأه الكوفيون وابن ذكوان، وأَحَدُ وَجْهَي هشام عن ابن عامر الشامي: ﴿حَذِرُونَ﴾ بألِف بعد الحاء؛ بمعنى: أنَّهم معدُّون مؤْدُون ذوو أداة وقوَّة وسلاح، وقرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب، وأحد وجهي هشام عن ابن عامر الشامي: ﴿حَذِرُونَ﴾ بغير أَلِف[3].

الأصل أنَّ معنى (فَعِل) للطَّبع، و(فاعل) للتَّكلُّف

فالحاذِر الذي يحذرك الآن، والحَذِر المخلوقُ حَذِرًا لا تلقاه إلا حَذِرًا[4]، فالحاذِر المستعدُّ، والحذِرُ المُتَيَقِّظُ[5].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 39.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 131.
(3) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 335.
(4) الفراء، معاني القرآن: 2/ 280، والطبري، جامع البيان: 19/ 352، والسمرقندي، بحر العلوم: 2/ 555.
(5) الزجاج، معاني القرآن: 4/ 92.

والصِّفة إذا كانت جاريةً على الفعل وهي اسم الفاعل واسم المفعول كالضَّارِب والمضروبِ أفادت الحدوثَ، وإذا لمْ تكن كذلك وهي المُشَبَّهةُ أفادتِ الثُّبوتَ.

فمَن قرأ ﴿حَذِرُونَ﴾ ذهب إلى إنَّا قومٌ مِن عادتنا الحذَر واستعمالُ الحَزْم، ومَن قرأ ﴿حَٰذِرُونَ﴾ فكأنَّه ذهب إلى معنى إنَّا قومٌ ما عَهِدنَا أن نحذر إلَّا عَصْرَنا هذا[1].

فائدة التَّعبير بالحذر في قوله: ﴿حَٰذِرُونَ﴾:

مـهـمـا دبَّـر الـكـافـرون ضـدَّ المؤمنين، فـالـعـاقـبـة للمتَّقين

قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾؛ يعني: نحن قوم من عادتنا التَّيقُّظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور، فإذا خرج علينا خارجٌ سارعنا إلى حَسْم فساده، فلا بدَّ لذوي الحزم والعزم من الضَّبط والاحتياط في عموم الأحوال.

وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المدائن؛ لئلّا يُظنَّ به ما يكسر مِن قهره وسلطانه أو العجز والفتور[2]؛ يعني أنَّه اعتذر مِن إرساله لهم بأنَّهم ليسوا بشيء يخاف منه، وإنَّما يُكْثِر الجيوشَ لحزمه وإراءة قوَّته لهم[3]، وأراد فرعون بهذا القول ألّا تضعف حُرْمَتُه وهيبتهُ عند الرَّعايا بما جرى له مع موسى من العصا واليد البيضاء[4].

غير أنَّ كلامه هذا يوحي بهَلَعه وخوفه ممّا فعله موسى عليه السلام، إلّا أنَّه أراد أن يستر هذا الهلع والجزع بالتَّهوين من شأنه ومن شأن الذين خرجوا معه، وبتحريض قومه على اللِّحاقِ بهم وتأديبهم، وبالظُّهور بمظهر المستعدِّ هو وقومه لمجابهة الأخطار والتَّمرُّد بكلِّ قوَّة وحزم[5].

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 506.
(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 315، وابن كمال باشا، تفسير القرآن: 7/ 386، والنخجواني، الفواتح الإلهية: 2/ 43.
(3) الشهاب، عناية القاضي وكفاية الراضي: 7/ 13.
(4) السخاوي، تفسير القرآن: 1/ 659.
(5) طنطاوي، التفسير الوسيط: 10/ 250.

دلالة توالي المؤكِّدات في الآية:

تأكيد فرعون شكيمتَه، ورَأْبَ الصَّدع الذي شقَّ هيبتَه

في الآية الكريمة جملة من المؤكِّدات التي سيقت لأجل تأكيد المعنى ونفي الشَّكِّ، وهي:

الحرفُ المشبَّه بالفعل (إنَّ) الذي ينوب منابَ تكرير الجملة مرَّتين، إلّا أنَّه أوْجَزُ وأخصَر مع حصول الغرض من التَّأكيد[1]، ولامُ التَّوكيد المزحلقة في قوله: ﴿لَجَمِيعٌ﴾، والتَّعبيرُ باسم الفاعل الدّالِّ على الحدوث: ﴿حَٰذِرُونَ﴾، والتَّعبيرُ بالجملة الاسميَّة التي تفيد الثُّبوت.

والغرض مِن توالي هذه المؤكِّدات نفيُ شكِّ المتشكِّك، وقَتْلُ إنكار المنكِر، وتدعيمُ وجهة نظره التي أراد بها أن يغطيَ الصَّدع الذي أصاب هيبته، فوصف نفسه ورهطه بأبلغ الأوصاف الدّالَّة على أصالة المنزلة وقوة الشَّكيمة[2].

سرّ ذِكر الأمر بالإسراء مسبوقًا بحرف التَّفسير ﴿أَنْ﴾:

ذُكِر الأمر بالإسراء مسبوقًا بحرف التَّفسير في طه والشُّعراء: ﴿أَنْ أَسْرِ﴾، وذِكر ذلك مسبوقًا بحرف العطف والتَّرتيب في الدُّخان: ﴿فَأَسْرِ﴾ [الدخان: 23]؛ ووجهه أنَّه لمّا ذُكر فعل الإيحاء في سورة طه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ [طه: 77]، والشُّعراء: ﴿*وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾، فقد ناسب أن يُذكر معها حرف التَّفسير ﴿أَنْ﴾ لبيان الموحَى به، ولمّا لم يَرِدْ فعلُ الإيحاء في الدُّخان لم يَرِدْ فيها كذلك حرفُ التَّفسير لعدم وجود ما يقتضيه.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المدائن والقُرى:

المدينة مِن الإقامة، والقرية مِن الجَمع والتجمُّع

المدينة مشتقَّة مِن: مَدَن بالمكان، أي: أقام به[3]، أمّا القرية

(1) ابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 526.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 78.
(3) الجوهري، الصحاح: (مدن)، والواحدي، البسيط: 9/ 270، والآلوسي، روح المعاني: 5/ 24.

فهي مشتقَّة مِن: قَرَيتُ الماءَ في الحوض، أي: جمعته[1]، وجذرها يدلُّ على جمع واجتماع، ومن ذلك القرية، سُمِّيت قريةً لاجتماعِ النّاس فيها[2].

وكلُّ أرضٍ يُبنَى بها حِصنٌ في أُصطمَّتها فهي مدينة[3] (الأُصْطُمَّة والأُسْطُمَّة: وسط الشَّيء أو معظمه ومجتمعه)[4]، وفي ذلك فرق بين المدينة والقرية التي هي تجمُّعٌ لبيوتٍ لَم يُلحَظ فيه التحصُّن[5].

ويُضاف إلى ما سبقَ أنَّ القريةَ: اسمٌ للموضع الذي يجتمع فيه النّاس، وللنّاس المجتمعين أيضًا، ويستعمل في كلٍّ واحد منهما[6]، أمّا المدينة فليست اسمًا للناس المجتمعين.

الحَشْر والجَمع:

الحَشر جَمعٌ مع سَوق

الفرق بينهما أنَّ الحَشرَ هو الجَمع مع السَّوْق، والشاهدُ قولُ اللّه ﷻ: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١﴾ [الأعراف: 111]، أي: ابعث مَن يجمع السَّحرةَ ويسوقهم إليك، ومنه يوم الحَشر؛ لأنَّ الخَلْقَ يُجمَعون فيه ويُساقون إلى الموقف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١﴾ [ق: 21]، إذ تأتي كلُّ نفس يومَ القيامة معها مَلَكان، أحدُهما يسوقها إلى المَحْشر، والآخر يشهد عليها بما عملت في الدنيا، ويقال: القياس جَمعٌ بين مشتبهين يدلُّ الأوَّل على صحَّة الثاني، ولا يقال في ذلك حَشر، وإنَّما الحشر في ما يصحُّ فيه السَّوق كما ذُكِر[7].

(1) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (قري)، وأبو البقاء الكفوي، الكليات، ص: 735.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قري).
(3) الخليل، العين، والأزهري، التهذيب: (مدن).
(4) ابن منظور، اللسان: (سطم).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي: (مدن).
(6) الراغب، المفردات، والفيروزابادي، البصائر: (قري).
(7) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 144.

الخوف والحَذَر:

الفرق بينهما أنَّ الخَوفَ هو توقُّع الضَّرر المَشكوك في وقوعه، أمّا الحَذَر فهو تَوَقّي الضَّرر سواء كان مظنونًا أو متيقَّنًا[1].

الـخـوفُ ذُعـرٌ وفَـزَع، والحَذَر تحرُّزٌ وتيقُّظ

وجِذر الخوف أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الذُّعر والفَزع[2]، أمّا جِذر الحَذَر فهو أصلٌ واحدٌ مِن التحرُّز والتيقُّظ[3]؛ ولهذا يقال: خُذ حذرَك، ولا يقال خُذ خوفَك[4].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 240.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خوف).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حذر).
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 240.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»